الياذة هوميروس

هذا هو النشيد الذي كان ادباء اليونان والرومان يستظهرونهُ من اولهِ الى آخرهِ ثم عنيت الامم الاوربية الحديثة بترجمتهِ ونظمهِ حتى لقد تجد لهُ في الانكليزية وحدها تسع ترجمات مختلفة وكلها منظومة عدا الترجمات النثرية . وقد اقدم على ترجمتهِ ونظمهِ حضرة العالم الفاضل سليمان افندي البستاني منذ سبع عشرة سنة فسبكهُ في قالب عربي وعلَّق عليهِ شروحاً مستفيضة وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة فصار ثلاثة اقسام الشعر والشرح والمقدمة نبحث في كل منها على حدتهِ

الشعر

اشعار هوميروس واخصها الالياذة دائرة معارف جمع فيها الناظم معارف الاقدمين لعهدهِ وهو بعيد عنا لا يقلُّ بُعْدهُ عن ثلاثة آلاف سنة . واعرب فيها عن المنافسة القديمة بين اسيا واوربا التي لم يتقلص ظلها حتى الآن . ووصف اخلاق الناس واميالهم وكل ما يخامر النفس وما تظنهُ من عوْن الالهة لها او خذلانها اياها . ومعاني هوميروس ليست شعرية في الغالب لانها ليست صوراً خيالية ولا تصوُّرات فلسفية وانما هي حوادث واخبار وقعت حقيقةً او حكماً تتمثَّل لذهن من يسمعها او يقرأها كأنهُ يراها عياناً . ولا ندري هل عبَّر عنها على اسلوب شعري بالاستعارات والكنايات او اقتصر على ايراد المعاني بالالفاظ الموضوعة لها . فان كان الثاني فالمعرَّب قد حذا حذوهُ غالباً وان كان الاول فقد جاء التعريب احياناً دون الاصل من هذا القبيل . وعذر المعرِّب حينئذٍ واضح وهو صعوبة ترجمة الشعر بالشعر والاحتفاظ بالمعنى كلهِ من غير زيادة ولا نقصان . ومع ذلك فقد ابدع احياناً كثيرة في الترجمة ولاسيما حيث تتحرك عواطف النفس فتحرك الاشجان كقول هكطور بطل طروادة مودعاً زوجتهُ

سوف تندكُّ باليون[1] القلاعُ وتوافينا المنات الفظاعُ كل هذا منهُ قلبي لا يراعُ
لا اذا امسيَ في الترب ثوىً او ابي من دمهِ السمر ارتوت او رميمُ الاخرة الارض احتوت
لا اذا الطرواد بادوا واذا خرق الزرقاء للجوِّ العويل

غير ان الخطب كل الخطب آهٍ ان تكوني في سبيَّات العداء تذرفين الدمع عن مر الحياء
تستقين الماء كالعبد الاسير من مسيس او ينابيع هفير تنسجين القطن والقلب كسيرْ
كل بؤس كل رزء وعنا كلهُ ان حلَّ ذا الرزء قليلْ

(١) اليون بلد هكطور وعاصمة بلاد طرواده

كلهُ لا شيء ان صحَّ الصحيحْ ولديهم كنتِ والدمع يسيحْ والذي يلقاكِ بي مزهوا يصيحْ
تلكمُ زوجة هكطور الشديدْ خير ما في القوم ما قرم عنيدْ كم لهُ قرع بدرَّاع الحديدْ
تلَّ صدر الجيش تلاً وحنا سبيتْ زوجتهُ وهو تليلْ
فتصيحين وتصلين السعيرْ تستجيرين ولكن من يجيرْ ان يكن هكطور في التربِ قريرْ
فلكِ الرقُّ وانواع العذابْ يا لحود الارض وارِي التُّرابْ قبل ان يدهمني هذا المصابْ
وانلني ايها الخطب البلى قبلما زوجيَ للبي تنيل

وكقول اخيل بطل اليونان في رثاء صديقهِ فطرقل وقد مهَّد الشاعر لذلك تمهيدًا فقال

واما بنو الاغريق آناء ليلهم فقد لبثوا في مأتم هدَّهم هدا
وبينهمُ آخيل في زفراتهِ يحنُّ لفُطرُقل وقد أكبر الفقدا
على صدر ذاك الإلف القى اكفهُ يحاكي اذا ما احدق الاسد الورّدا
كأن يبطن الغاب اشباله بها خلا قانصٌ فاربكَّ واشتدَّ واحتدَّا
وهبَّ على آثارهِ بحزازة تجدِّرهُ وهدًا وتصعدهُ نجدا
قصاح ألا رباهُ واعظم موعدٍ وعدتُ منيوسًا ولن اصدُقَ الوعدا
بتنزلهِ عاهدتهُ لافنطسٍ اعيد ابنهُ من بعد ان يقهر الضدَّا
ويهدم اليونًا ويرجع غانمًا وهيهات زفس كل آمالنا اسدى
باليون قد خطَّ القضاء بان من دماه كلينا الارض محمرَّةَ تندى
افطرقل مذ سيقت لذا الترب اعظمي وبعدك لي قد خطَّ ان انزل اللحدا
فلستُ متمًّا مأتمًا لك قبل ان اذيق الردى هكطور قاتلك الجلدا
وشكَّتهُ تلقى لديك ورأسهُ فاذكي لك النيران مدَّخرًا حمدا
ومن حولها اثني عشر رأسًا بصاري اقضَّب من طروادة فتيةً مُرْدا
فظلَّ اذًا ملقى لدى الفلك ريثما ابرُّ فذا عهدي ولن أُخلف العهدا
فحكم ثمَّ طُرواديَّة دردنيَّة سبينا بدار بأسنا فوقها امتدَّا
يخنَّ عليك اليوم والليل كلهُ ويلطمنَّ بضَّ الصدر والنحر والخدَّا

وكقول اندرماخ زوجة هكطور في رثائهِ لما قتلهُ اخيل

متَّ بعلاهُ بالشباب النضيرِ وانا ايِّمٌ بهذي القصور
وحنا الطفل طفلنا ونتاج الـ ـحزن لن يدركنَّ آهِ الشبابا
قبل ذاك الزمان خلت الديارا اصبحت نُضرةً وباتت دمارا ان تمت لاسواك يحمي الذمارا

وجميع البنين والاطفال والعذارى والمحصنات الخوالي
سوف يمسين في الخلايا سبايا وانا بينهن واويلا
وكذا انت يابني ستمسي حيث امسي تعنو بذل وبؤس لفتى ظالم عتا ذي بأس
او عدو سيم الوبالا الثقيلا يتوخى لك الحمام الوبيلا
بك يلقى من فوق برج فيشفي غلة كادت النفوس الغضابا

او حيث يدعو المقام الى اظهار الفصاحة كما في خطب نسطور . من ذلك قوله

سمعت ذيوميذ يأسك مثلما برأيك في الاتراب قد كنت ساميا
فما لك في الاغريق لومة لائم ولكن فصل القول ما زال خافيا
فانت فتى لو قيس عمرك لم يكن لاحدث ابنائي الصغار مساويا
على انك اخترت الحصافة منهجا وصيد السرى خاطبت بالحق عانيا
واني وحسبي الشيب دونك مفخرا سيجمع اطراف الحديث كلاميا

او حسن البيان كما في وصف ما حل باخيل من الجزع على موت صديقه فطرقل كقوله

وظل اخيل والكرى قاتل الاسى يذكراه فطرقلا يؤرقه السهد
ينوح على اقدامه وزعامه وكل سجاياه خاطره تبدو
يكب فيستلقي يسيرا فينثني على صفحيه والهواجس تشتد

او الشجاعة وشدة الباس كقوله في وصف معركة

تدفقت الاجناد اسيه تدفق الى الحرب تجري فيلقا اثر فيلق
بهم اولياء الامر يسمع امرهم وهم لاهوى نفس ولاصوت منطق
وفوق الصدور الطامحات تألقت صوارمهم والسمر ايّ تألق
ولكنما الاعداء قام ضجيجهم كسرب شياه في الحظائر فلق
اذا ما استدرت والسخال ثغت لها لهن رنت ثغو بانة مشفق
فاوزاعهم من كل فج تألفوا بعدة لسن واختلاف تخلق
ولما تدانوا والنفوس سواخط تحرقت الاجناد ايّ تحرق
نصول تلاقت في صدور تدججت وكر يواري يلقا فوق يلق

وبلغ الشعر غاية من السهولة والانسجام في النشيد الثاني والعشرين الذي وصف فيه الناظم مقتل هكطور فمن ذلك قول فريام يحذر ابنه من لقاء اخيل

فلذ للسور لذ عجلا حبيبي واتق الفشلا

وذُدْ عن جندٍ طُرُوادٍ ونسوةٍ جندها النبلا
ولا تتعرضنَّ إلى الحمام بوجه آخيلِ
فتلبسهُ حلى المجد الأثيلِ ويُبلغُ الأملاَ
ورقَّ لوالدٍ هِمٍ نصوح زفس قدَّر أن
يبيد بعيد أن يدهاهُ كلُّ بلا وايٍّ بلا
ابادة ولدهِ طرًّا وذُلٌّ بناتهِ أسرا
وتهبُ منازلٍ فيها العدُوُّ يعيثُ منتشرا

وتوسُّل هكطور لاخيل لكي لا يقتل القاتل منها بالمقتول

ونستشهد بني الخلدِ على الايمان والعهدِ
فهم خيرُ الشهودِ على الورى في القرب والبعدِ
لئن اوتيتُ نصرًا من لدى زفس مُحبي انْ
تموت وانْ تجرد من زهيِّ سلاحك الصلدِ
ولكني ارُدُّك للاخاءة لاَ هوانٌ ولا
أذىً عدني إذا في مثل هذا صادق الوَعدِ »
فأحدق فيهِ شزرًا يلتظي آخيل قالى « صهِ
ولا تذكر وفاقًا لا وفاق بيننا ذُكراَ

وقول هكطور لما يئس من عونِ الاله وايقن بالهلكة

فلا نجوى وزفس قضى وآفلون ما اعترضا
وكم قد اولياني قبلُ ظل حماية ورضا
ولكن القضاء اتى فاهلاً بالقضاء فلا
مرَدَّ وخلتهُ ما حطَّ من همي ولا خفضا
اموتُ بعزةٍ تترى لاجيال فأجيالِ
ومجد باذخ بيَ فوق ابراج العلى نهضا
وسلَّ حسامهُ من غمدهِ بلباقة ومضى
بقلب لا تغيرهُ الخطوب ولا يرى الغيرا

والشعر مشكول كلهُ شكلاً كاملاً لكي لايقع فيهِ اقلُّ التباس

الاَّ ان هوميروس ذكر ميآت من الاعلام المنقولة والمرتجلة وهي مألوفة عند اليونان او

صارت ما لوفة بشعره وكذلك صارت عند الاوربيين فلا يثقل عليهم سمعها والنطق بها وهي على الضد من ذلك عند ابناء العربية غريبة ثقيلة وتكثر هذه الاعلام في البيت الواحد احياناً حتى يعسر على القارئ العربي النطق به كقوله

او لِكسنِ اوثيسسَ بنِ أَغيس من قد كان مثل الخالدين رزينا

وكقوله صفحة ٦٧١

كذا ابن هِرطاقسِ آسيُسُ البطَلُ من ثقَف الجرد للهيجاء يشتعلُ

وآكامسُ ابن انطينور يصحبهُ اخوهُ ارخيلخُ كانا بصحبتهِ

فان قيل هل من سبيل آخر لذكر هذه الاعلام على غير هذه الصورة قلنا انا لو حاولنا ترجمة شيء فيه كثير مثلها لتجثينا ذكرها على قدر الامكان اما باقامة المضمر مقام المظهر حيث يغني عنهُ او باغفالها مطلقاً حيث لا تدعو الحال الى ذكرها ولعل المترجم فعل ذلك ولكن بقي منها شيء كثير في بعض الاماكن يملهُ القارئ

ثم ان المترجم عبَّر بالفاء عن الباء اليونانية غالباً فقال افلون بدل ابلون وفاريس بدل باريس وفرغموس بدل برغموس وحبذا لو جارى الذين عرَّبوا هذه الكلمات قبلهُ بالباء لان الاسماع الفتها كذلك . واكثر من الكلمات اللغوية واختارها احياناً حيث لا يدعو الوزن ولا القافية اليها كقوله في الصفحة ٣١٥ " اوست ويضعك لم يعقد " فانهُ كان يحسن ان يقال وعرسك . وكقوله في الصفحة ٣٣٣ " مع نجي مدام ملآن " فان كلمة زق تقوم مقام نجي وهي اشهر منها واصلح في هذا المكان لكنهُ فسَّر في الحواشي اكثر ما اوردهُ من الغريب فلا يتعذَّر فهم المراد على طالب الفائدة ثم فسر الغريب كلهُ في معجم الحقهُ بالكتاب

وقد جاءت الالياذة في نحو احد عشر الف بيت ولذلك رأى المترجم ان لا يقتصر على انواع النظم المشهورة مثل القصائد والتخاميس والاراجيز بل سلك مسالك اخرى كما رأيت في الامثلة المتقدمة دعاها باسماء رآها تنطبق عليها كالمثنَّى والمربَّع والمثمَّن والموشح المسبَّع والموشح المثمن والموشح المردف وهلمَّ جرًّا فجاءت بهذا التنويع اكثر طلاوة واوقع في نفوس القراء

وجملة القول ان العربية التي عجز ادباؤها قبلاً عن مجاراة اكثر اللغات الاوربية بل عن مجاراة السريانية في نقل اشعار هوميروس اليها قد غنيت الآن بهذه الترجمة . وزد على ذلك ان هذه الترجمة تفوق كل ترجمة شعرية تقدمتها في انطباقها على الاصل وفي ما تضمنتهُ حواشيها من الشروح والشواهد العربية كما سيجيء في الجزء التالي وفي ان فصولاً كثيرة منها جاءت من ابلغ ما نظم في العربيَّة كما رأيت في الامثلة المتقدمة